هدية للوطن

• "زهير بوعزاوي"*

بعد منتصف الليل بأربع ساعات مرهقة، نمت فيها نوم أهل الكهف، متعب ومنهك حد الخمول والكسل، جميع تفاصيل جسدي تعاني تمزقات عضلية، استيقظت على صوت أبي الدافئ وهَو يهمس داخل أذني بلطف حتى لا يزعجني:

انهض يا ولدي، قد حان وقت السفر والطَريق طويلة كيلوميتراتها أمامنا .

قمت من مضجعي ممدداً سواعدي إلى الأعلى ثم انقلبت على بطني ونهضت في حركة تشبه نهوض القط مستمتعاً بالفرقعات التي تصدرها عظامي، وأنتشي بها انتشاء السكير حين يرتشف زخات خمرية من فم معشوقته زجاجة النبيذ الأحمر المعتق، والمعصور من أجود عناقيد العنب الهندية، تثملني كذلك وتزيدني لذة فرح قيس بين أحضان ليلى، ارتديت ملابسي رغم الوهن والعياء، حملت كتاب "حدائق الملك" حتى يؤنس وحدتي في السفر وأتغذى منه على بعض المرادفات الجديدة لتسقي قحولة الصحراء والفيافي والخلاء في معجمي اللغوي مذ أن لازمني المرض، أخذت بطانية رطبة الخيوط تشبه ليونة طفل حديث الولادة، التحفتها من الزمهرير المنفوث صباحاً من قمم الجبال المحيطة بنا، يندس سمه بين العظم والجلد جاعلاً مسام الجسد منتفخة، ما يسبب ألماً يشبه لسعة سوط لا يرحم الجلاد ظهر المذنب حين ينهال عليه ضرباً، صعدت إلى مؤخرة السيارة وحدي وسبرت غور دوامة نوم عميق تارة وخفيف في الأخرى إذا لم ترتطم عجلات السيارة بحفرة أو بكومة من الرمل، يضعها أصحاب المحلات التجارية والمنازل والأزقة الضيقة قصد تخفيف السائق السرعة، في شكل يشبه القبر يطلق عليه لقب "بوليسي ميت" بالعامية المغربية.

قصد مدينة الحاجب مشينا ومازلت أتكوم وأتكور وأتقوقع في البطانية، والأب في جانبه خالي القابع خلف المقود ينغمسان في حديث شيق يحوم حول الأوضاع المزرية للبلاد من ناحية الفلاحة وندرة تساقط الأمطار، وحاجة البهائم للكلاء و العلف الباهض ثمنه، يشتكيان ويبكيان فداحة ما أصابهما، وتعالت تفجعاتهما كالنائحات يوم العزاء، لا أعلم لما يحشر والدي دائما

أنفه جوف هاته الأمور البعيدة عنه، فهو لا يملك أرضاً ولا بهائم ولا زرعاً، في ملكيته دراجة هوائية لا تحتاج صبيباً ولا عشباً رغم ذلك يشاطر كبار الفلاحين همهم، ربما تضامنا معهم أو تربيته في المداشر جعلته يظن نفسه من أهل الغنى والثراء .

بدأت خيوط الليل ترفع ستارها عن ركح الصباح، وتقدمت خيوط الشمس الذهبية تلقي تحية السلم والسلام على كل سكان الأرض تنحني لهم على صوت صياح الديك البلدي يكسو الشيب شعيراته المتبقية فوق صلعته الحمراء، ذو بشرة تشبه بشرة الأوربيين، ودخلت معه الغرفة المخصصة للكشف وأبي ثالثنا كالشيطان، انبطحت على السرير يبادرني بالسؤال وأجيبه هكذا ودواليك، وهو يكشف بجهاز الإيكو بطني نصف ساعة بالكمال والتمام ويسأل ويبحث، طلب مني الاستلقاء على البطن، استفسرته عن ماهية هذا الطلب وقال بَنبرة لطيفة:

من أجل الحقنة أيها الشاب الجميل.

حقنة! جأرت بها عاليا، وأنا أقول:

لا أحب الحقن، منذ أن كنت أبلغ من العمر صبياً لم أحقن ولا واحدة.

يهدئني ويطمئنني وهو يربت على كتفي:

لا تخف يا عزيزي، لقد رأيتك منهمكا في القراءة قبل قليل داخل السيارة، ولا أخفي عليك أنني أحببتك وأنت من الناس القلائل الذين فعلوا هذا منذ بدايتي هنا كطبيب، لذلك سأحقنك في ذراعك رأفة بك ويبتسم مازحاً.

بعد الأخذ والرد وافقت، ونهضت من هناك بعد انتهائه، وتقدمنا إلى مكتبه وجلسنا قبَالته، وقال مرة أخرى:

معدتك متضررة بشكل سيء جداً، وقد استحوذت الأعصاب على النصف منها أيضا، إذا عليك الانتباه جيدا إلى نفسك ولا تدع شيئاً يقلق راحتك مهما كان، وعليك الابتعاد عن الأطعمة المطهوة بالزيت والقهوة والحوامض والمعجنات والنعناع والفلفل الحار قاطعته:

لقد منعت علي ما يؤكل ولم يبق لي سوى الصيام وأكل الخضر المفورة، ها أنت قد حولتني من إنسان إلى بقرة.

يضحك ملء شدقيه، ثم أخرج ورقة بيضاء وكتب عليها الدواء يتكون من ثلاثة عقاقير ضمنها واحد لن تحصل عليه إلا إذا كنت تملك الوصفة، وقال الطبيب خبرا مفجعاً لي:

هناك دواء قوي ونادرا ما تظهر بعض الأعراض منه حين تتناوله، وهي ضعف الانتصاب لمدة يومين، وإذا كنت غير متزوج لا حرج عليك، لا تنزعج يومين فقط وتعود إلى حالتك الطبيعية.

مشدوه الفرائص تسمرت مكاني، وعلامات الذهول بادية علي، حتى الطبيب بدأ مرعوباً وزعقت في وجهه بقوة للمرة الثانية على التوالي أصدح:

أتخرف أيها الطبيب! دواء يسبب ضعف الانتصاب، لن أتناوله أبداً.

وهو يحاول إقناعي بضرورته حتى تعود المياه إلى مجاريها و أتعافى ثم تساءل:

لماذا يا ولدي تمتنع عن تناوله؟

أجبته:

لا أحتاجه، أحتاج دواء يضعف الذاكرة، ويصبني بنعمة النسيان، أريد أن أمنحه هدية لهذا الوطن.

---

*ترجمة للمقطع الغنائي:

• يا أخي أريد صعود وصعود الجبال لكن الأقدام لا تقوى على ذلك.

*كاتب من المغرب.

حامد جامع.. ضمير

• كتب/ نصر مبارك باغريب

لم يسع للظهور أو الشهرة طوال حياته..، وعاش بفلسفة خاصة به مداميكها البساطة والزهد بمتاع الدنيا وزخرفها ونفاقها..رغم مايمتلكه من ملكات الإبداع والتميز الإنساني في مجتمعه التي تجعله يفتخر بنفسه، ويزهو بمايختزله بعقله.

غادر (حامد جامع) دنيانا أمس الاثنين بصمت بعيدا عن الضجيج والأضواء كما أحب وحمل بسطاء الناس جثمانه الطاهر إلى مثواه دون أن يرافقه أو يعزي بوفاته أي مسؤول أو شخصية بارزه.

نعم سنسمع غدا أو بعد غد أن المسؤول الفلاني أو المناضل العلاني أو الشخصية الفلتاني قد بعث ببرقية عزاء عبر وسائل الإعلام لأهله وذويه كنوع من النفاق الأجتماعي تجاه شخصية فريدة أحب بسطاء الناس بعدن فاحبوه وكان واحدا منها .

حامد جامع هو تجسيد نير للإرث المدني والثقافي والاجتماعي العدني، ولد ونشأ ومات بعدن وامتزج كيانه في المدينة وناسها وثقافتها وشخوصها.. طبعت عدن حبها في فؤاده، والتصق بها التصاق الطفل بأمه المثخنة بالجروح والطعنات والغدر.

غاص حامد جامع في أغوار عدن وفهمته وفهمها ولم يجد مناصًا للتماهي معها بعشق راق لا انفصام عنه...إنه العدني المنتمي إلى عدن المدنية وليس إلى القبيلة أو الطائفة أو المنطقة .

أحب مدينته وأمه عدن وأحبته تثقف في مدارسها ومكتباتها ومنابر الثقافة والأدب والصحافة والسياسة فيها...كان مثقفا حقيقيا يحمل قضية إنسانية كبيرة ومبدأ صادقا لايتزحزح... كان نقيًا حد الصفاء وبريئا حد الطفولة... بأفق وفكر لامس السماء .

امتشق (حامد جامع) القلم والكتاب وبهما أنار طريقه وسار بدرب حياته... قرأ كثيرًا بشتى صنوف المعرفة، وكتب عن

قضايا الفكر والثقافة والأدب والسياسة والصحافة... وترجم الكثير من الكتابات والمؤلفات من اللغة الانجليزية إلى العربية، وكان الدينامو الثقافي المعد والكاتب لعدد من أهم المجلات والصحف الرصينة التي صدرت في عدن وغيرها.

كانت قناعات (حامد جامع) صلبة ثابت لم تؤثر عليها عاديات الزمن وتقلباته ومغرياته وإحباطاته...امتلك عزة وعفة في النفس قلما نجدها كثيرا الآن بين أوساط الكثير من المتثاقفين.

لم ينحن أبدا ، عاش طودا منتصبا ، ومات عزيزا شامخا..لم يستجد أمام مكاتب المسؤولين أو المناضلين القدامَى أو الجدد كما فعل العديد من أشباه المثقفين والسياسيين..، كان يعاني من شظف العيش وضيق ذات اليد ، ولم يشكوا لأحد.. ، كابد قهر المرض ولم يصرح لأحد بما يعانيه وما يحتاجه..، زهد عن الزواج وإنجاب الأبناء حتى لايعانوا معه من ألم الحياة وزيفها في مجتمع اجتاحته القسوة والنفاق حد القرف .

كنت التقيه باستمرار مبتسما لي كلما رآني أحييه .. أراه متأملا مجريات الواقع المتهاوي وهو جالسا على كرسيه قبالة مقر حزب التجمع (حزب عمر الجاوي) أو على عتبة الباب المقفل لسينما هريكن في مديرية كريتر بعدن بمعية ثلة من المثقفين الكبار الذين يشبهونه بشيء من صفات العفة والبساطة والفكر الحضاري..، وكروتين شبه يومي كنت أتوقف لهنيئة عندما أشاهده قاعدا بمكانه الأثير كل مساء ونتبادل حديثا مقتضبا عن حال البلاد والعباد ثم أفارقه على أمل لقاء بيوم آخر .

ولعل أجزل مرحلة تجاذبت معه الحديث والأفكار كانت تلك الأيام العصيبة التي عشناها أثناء حصار عصابات الحوثي لمدينة كريتر في عدن عام 2015م..، وتحدث معي بحكمة المثقف وابن عدن المدرك لأسرار التاريخ وطبائع سكان هذه المدينة...، قال لي: إن عدن ستلفظهم كما لفظت غيرهم..، قال لي: إن هذه المدينة لاتقبل إلا بهاء النهار..، مدينة وجدت لتقاوم التخلف وتاريخها شاهد عليها، ولن تستطيع أي قوى أن تدمر مدنيتها.. نعم قد تواجه انتكاسه وكبوة ورياحا عاتية، ولكنها ستنهض مجدداً ولو بعد حين .

كان يقدم لنا جرعًا مهمة من الأمل والمعنويات التي خففت من جزعنا على مستقبل المدينة جراء الهمجية والتخلف المريع الذي تتعرض له...، ظهر أمامنا واثقا وهو يؤكد لنا أن عدن لايمكن أن ترضخ للهمجية والجهل إنها مدينة المدنية والنور حتى إن خفت ضوؤها وكاد أن ينطفئ لبرهة من الزمن.

ظلت كلماته تترد بمسامعي إثر دحر عصابات الحوثي عن عدن وانتصار أبنائها على جحافل الظلام، ولازالت كلماته عالقه بذهني إلى اليوم أن عدن ستزيل كل أذران الهمجية والتخلف ولو بعد حين..، إنها مدينة المدنية فهي لاتستطيع أن تكون إلا عدن بكل مايحمله هذا الاسم من عمق مدني فلسفي منفتح وأصيل.

رحمة الله عليك أستاذنا وصديقنا المفكر والأديب والمثقف الكبير/حامد جامع..، وأسكنك الله برحمته ومغفرته فسيح جناته..وألهمنا وكل محبيك الصبر والسلوان....إنا لله وإنا إليه راجعون.

اندبندنس ترين

صالح العطفي

وصل القطار إلى مدينة عتق في تمام الساعة الرابعة فجرا، كان متأخرا عن موعده بساعة كاملة، استغرب كل الذين كانوا منتظرين في المحطة من تأخر القطار الذي اعتادوا على أن يصل في الوقت المحدد له.

نهض عمار الذي كان يتململ على كراسي الانتظار لاستقبال صديقه فضل، القادم من مدينة الأحرار التي لا تبعد كثيرا "400 كيلا على الأكثر"، أخذ يقلب نظره في الوجوه باحثاً عنه.

وبينما هو كذلك لاحظ أن ساعة أحد المسافرين الذين قدموا على متن الاندبندس ترين -هكذا كانوا يسمون القطار الوحيد في الوطن- تشير إلى الثالثة، نظر في ساعته فوجدها تشير إلى الرابعة، حاول أن يجد مسافرا آخر لديه ساعة، وجد أحدهم، كانت ساعته تشير إلى الثالثة، نظر مرة أخرى إلى ساعته ليتأكد، وجدها تشير إلى الرابعة، ذهب لينظر في الساعة التي في قمرة القيادة للقطار، نظر لها عبر زجاج النافذة السميك، بالكاد استطاع أن يتبينها، وجدها تشير إلى الثالثة، نظر إلى ساعته للمرة الثالثة، وجدها تشير

إلى الرابعة، مسحها وهو مندهش، ما زالت تشير إلى الرابعة، طرقها عدة طرقات لكنها لم تكن معطلة.

ذهب إلى صالة المسافرين لينظر إلى ساعة الحائط الكبيرة المثبتة أمام كراسي الانتظار، وجدها تشير -مثل ساعته- إلى الرابعة.

عاد ليبحث عن فضل.

أخيرا وجده بعد بحث مضن، عانقه عناقا حارا فهو لم يره منذ سنين، ولكن فضل لم يكن مهتما به كثيرا، أخذ يجر شنطته وراءه باتجاه مقصف المحطة، كان المسافرون منهمكين في أمورهم الخاصة ولم يعيروا من استقبلهم في محطة عتق أي اهتمام.

جلس فضل إلى طاولة المقصف فجاء له المباشر بالماء وانتظر ماذا سيطلب من مشروب، لم يهتم له فضل وأخرج من شنطته علبة ماء وكيسا فيه عصير وبسكويت وأخذ يأكل ويشرب.

جاء عمار حتى وقف على طاولته وقال: فضل! يا فضل! ألا تسمعني؟ لم يجبه فضل واستمر في قضم البسكت

أقبلت يا عيد

عصام مريسي

أقبلت يا عيد بالبشرى
وعم الفرح والسرور
لك في القلوب ذكرى
فيها الحب والحبور
تجلي كروب عسرى
حين تقبل بالبكور
في الدماء لك مسرى
أيامك إشراق ونور
تحلى أيامك أحلى
حالية طول الدهور
لقاء الأحباب دفرى
تعيد روابط الجسور
دام الفرح والسلوى
في قلوب الحضور
البسمة مع النشوى
تعبق بهجة ونور .